

خيار التاريخ وتطلعات الشعب*

في عام ١٩٤٩، عشية تأسيس جمهورية الصين الشعبية، حشد ماو تسي تونغ جميع أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بهذه الكلمات "ضمان الانتصار على مستوى البلاد ليس سوى الخطوة الأولى في مسيرة طويلة".

وبعد سبعة وستين عاما، وفي حفل مهيب بمناسبة الذكرى الخامسة والتسعين لتأسيس الحزب الشيوعي الصيني، أعلن شي جين بينغ، الأمين العام للجنة الحزب المركزية، أن "اليوم، نحن أقرب من أي وقت مضى في تاريخنا إلى هدف تحقيق النهضة العظيمة للأمة الصينية، كما أننا أكثر ثقة وقدرة من أي وقت مضى على تحويل هذا الهدف إلى واقع".

وتقف الصين الآن عند منعطف تاريخي مصيري، فهي تستقبل فرصا غير مسبوقة بينما تواجه مهامها الداخلية شاقة بشكل غير مسبوق وتتعامل مع مشهد عالمي يشهد اضطرابات عميقة وإعادة تشكيل.

واضطلعت لجنة الحزب المركزية، ونوابها الرفيق شي جين بينغ، بمسؤوليتها التاريخية لضمان تنمية الصين، وتمسكت بالحكمة والشجاعة في الإصلاح والابتكار، ووحدت أكثر من ١,٣ مليار شخص في المسيرة الطويلة الجديدة نحو تحقيق حلم الصين المتمثل في النهضة العظيمة للأمة الصينية منذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني في عام ٢٠١٢.

قيادة حاسمة في مرحلة حاسمة

في خريف عام ٢٠١٦، تحت شعار الحزب الضخم الذي يحمل المطرقة والمنجل، اعتمد

* تم نشر النسخة الصينية من المقال من قبل وكالة أنباء «شينخوا» في يناير ٢٠١٧.

أعضاء لجنة الحزب المركزية بالإجماع البيان الصادر عن الدورة الكاملة السادسة للجنة المركزية الثامنة عشر للحزب الشيوعي الصيني. وتضمن البيان رسمياً مفهوم لجنة الحزب المركزية، ونواتها الرفيق شي جين بينغ.

وبالنسبة لأي بلد وحزب سياسي، فإن نواة القيادة ذات أهمية حيوية.

وفي حين لا تزال الصين في مرحلة الفرص الإستراتيجية، فإنها - بوصفها ثاني أكبر اقتصاد في العالم - تواجه ظروفاً داخلية ودولية متزايدة التعقيد والقسوة.

ويقود الحزب السياسي الأكبر في العالم، الذي يضم أكثر من ٨٨ مليون عضو، الدولة الأكثر سكاناً في العالم - التي يبلغ عدد سكانها حوالي ١,٣ مليار نسمة - في أرض شاسعة ومتنوعة تزيد مساحتها عن ٩,٦ مليون كيلومتر مربع ولها تاريخ حضاري يزيد على خمسة آلاف عام. إن توجيه أمة عظيمة كهذه عبر منعطف تاريخي حاسم يتطلب رؤية إستراتيجية استثنائية وتصميماً راسخاً. ومنذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، قادت لجنة الحزب المركزية البلاد من خلال إدراك شامل للمشهد الإستراتيجي والاتجاه السائد للتنمية، فأطلقت حملات، واستحدثت ممارسات جديدة، وفتحت آفاقاً جديدة في قضيتها العظيمة للاشتراكية ذات الخصائص الصينية.

وعلى مدى السنوات الأربع الماضية، حققت الصين إنجازات كبيرة في تعزيز الإصلاح وضمن الاستقرار مع دفع التنمية قدماً، وذلك في الشؤون الداخلية والخارجية والدفاع الوطني، وكذلك في حوكمة الحزب والدولة والقوات المسلحة.

كما تم اتخاذ خطوات راسخة نحو بناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل، وفي رسم مسار جديد لحكومة الدولة.

ويتم تحسين فلسفات وأفكار الحوكمة الجديدة باستمرار ويتم تنفيذ إستراتيجيات وإجراءات جديدة - بدءاً من الهدفين المئويين إلى رؤية حلم الصين، ومن الترتيب الشامل للتكامل الخماسي إلى إستراتيجية الشوامل الأربع، ومن السعي لتحقيق التقدم مع ضمان الاستقرار إلى التكيف مع "الوضع الطبيعي الجديد" للتنمية الاقتصادية، ومن الفلسفة التنموية الجديدة للبلاد إلى إصلاحها الهيكلي لجانب العرض. وصلت عملية دمج الماركسية مع واقع الصين إلى مستوى جديد، مما أغنى الإطار النظري للاشتراكية ذات الخصائص الصينية.

وبعزيمة صلبة، يتم استئصال الفساد، وإبرادة لا تخشى شيئاً، يتم دفع الإصلاحات إلى

الأمام. كما تم إطلاق إصلاحات عسكرية ودفاعية وطنية عميقة بهدف بناء قوات مسلحة قوية وجاهزة للقتال.

وما تزال البلاد ملتزمة بعدم ترك أي فرد خلف الركب في مسيرتها نحو الازدهار. كما أن فلسفتها التنموية المتمحورة حول الشعب تندسج رابطة عاطفية عميقة بين الحزب والشعب. ويتعاضد صوت الصين على الساحة العالمية، ويصبح حضورها في المشهد العالمي أكثر بروزاً من أي وقت مضى، وهو ما تجلّى في قمة مجموعة العشرين في هانغتشو، حيث كانت الصين في طليعة إصلاح حوكمة الاقتصاد العالمي؛ وفي اجتماع القادة الاقتصاديين لمنتدى التعاون الاقتصادي لمنطقة آسيا والمحيط الهادئ (أبيك) في بكين، والذي أسهم في رسم مسار الاقتصاد العالمي؛ وفي مبادرة الحزام والطريق التي حظيت بدعم أكثر من مائة دولة ومنظمة دولية؛ وفي إنشاء البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية، الذي اجتذب ٥٧ عضواً مؤسساً. وعلى مدى السنوات الأربع الماضية، قدمت لجنة الحزب المركزية ونوابها الرفيق شي جين بينغ، مثلاً في القيادة المدفوعة بالمهمة والعمل العملي، مما عزز ثقة الشعب الصيني في بلاده وتطلعاته لمستقبلها.

وقال شي "لقد راكمت الأمة الصينية قوة هائلة على مر القرون، وقد حان الآن وقت تحقيق حلم الصين العظيم".

فرض الحوكمة الذاتية الصارمة للحزب

قال شي إن "نجاح الصين يتوقف على الحزب الشيوعي الصيني، وخاصة على جهود الحزب في ممارسة الرقابة الذاتية الفعالة وإدارة الحزب بصرامة على نحو الشامل". في أواخر خريف عام ٢٠١٦، عقد الحزب الشيوعي الصيني جلسة كاملة للجنة المركزية لدراسة القضية الكبرى المتمثلة في إدارة الحزب بصرامة على نحو الشامل. وأصدر وثيقة معيارية تاريخية، لتوفير إطار توجيهي لتطوير بناء الحزب. ومنذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، تمسكت لجنة الحزب المركزية، ونوابها الرفيق شي جين بينغ، بقيادة الحزب مع إحساس عميق بالمسؤولية التاريخية. وقال شي للصحفيين من الداخل والخارج بعد فترة وجيزة من انتخابه أميناً عاماً للجنة

الحزب المركزية قبل أكثر من أربع سنوات إن "مسؤوليتنا هي توحيد وقيادة الحزب بأكمله وأبناء الشعب من جميع القوميات لمواصلة السعي لتحقيق النهضة العظيمة للأمة الصينية، وضمان وقوف الصين بثبات بين دول العالم ومساهمتها بشكل أكبر للبشرية".

ومنذ ذلك الحين، قادت لجنة الحزب المركزية، ونواتها الرفيقي شي جين بينغ، مسار الصين بحزم. ويتولى شي شخصيا رئاسة مجموعات قيادة رئيسية، بما في ذلك المجموعة القيادية لتعميق الإصلاح بشكل شامل. وتجري لجنة الحزب المركزية مراجعات ربع سنوية للشؤون الاقتصادية، وعزز الحزب قيادته لمختلف القطاعات.

ومنذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، أولى شي أهمية كبيرة للجهود الرامية إلى ترسيخ أسس حوكمة الحزب على المدى الطويل.

وتم تعزيز منظمات الحزب على المستوى القاعدي في المجتمعات الريفية والحضرية، وتوسيع حملات الحوكمة الذاتية الصارمة للحزب لتشمل المستوى القاعدي، وإرسال مسؤولي الحزب إلى الخطوط الأمامية لحمالات التخفيف من حدة الفقر.

ومع تحول أكثر من أربعة ملايين منظمة حزبية إلى معاقل للعمل وقيام أكثر من ٨٨ مليون عضو في الحزب بدور القدوة، عزز الحزب الشيوعي الصيني ارتباطه العميق بالشعب ورسخ أسس حوكمته.

ومنذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، قدمت لجنة الحزب المركزية، ونواتها الرفيقي شي جين بينغ، مثالا في تحسين السلوك وتقوية تقويم السلوك وتشديد الانضباط. وترأس شي اجتماعا للمكتب السياسي للجنة الحزب المركزية في ٣٠ نوفمبر ٢٠١٦. وأصدر الاجتماع لوائح تتعلق بمساحات المكاتب والإسكان والمركبات وترتيبات السفر وتخصيص الموظفين والعطلات السنوية لقيادة الحزب والدولة، وشهد توسيعا وتحسينا لقرار "الضوابط الثمانية" الصادر عن القيادة المركزية للحزب قبل أربعة أعوام بشأن تقويم السلوك.

ووفقا للوائح، يجب على قادة الحزب والدولة إخلاء مكاتهم في الوقت المناسب عند التقاعد. ولا يجوز تخصيص مركبات لهم تتجاوز المعايير ذات الصلة أو اتخاذ ترتيبات سفر مفرطة. ويجب عليهم السفر بشكل مقتصد مع مرافقة محدودة لتقليل التأثير على الحياة اليومية للناس.

وعلى مدى السنوات الأربع الماضية، تم التحقيق مع أكثر من ٢٠٠ مسؤول رفيع المستوى، من بينهم تشو يونغ كانغ، وبوه شي لاي، وقوه بوه شيونغ، وشيوى تساي هو، ولينغ جي هوا، وسو

رونغ، بتهم الفساد. وواجه أكثر من مليون مسؤول إجراءات تأديبية، وتلقى قرابة ٢٠٠ ألف منهم عقوبات بسبب انتهاك قرار "الضوابط الثمانية".

وخلال الفترة نفسها، أقام الحزب ضمانات مؤسسية لمكافحة الفساد عبر تعزيز آليات التفتيش والرقابة الانضباطية، وجدد تركيزه على مُثُل الحزب وأخلاقياته وقيم الأسرة، وأطلق حملات تثقيف واسعة النطاق.

وقال شي "إذا سمحنا لبضع مئات من المسؤولين الفاسدين بالتسلل من خلال الشقوق، فسوف نخذل ١.٣ مليار صيني".

وكشف استطلاع حديث للرأي العام أن أكثر من ٩٠ في المائة من المستجيبين راضون عن إنجازات الصين في مكافحة الفساد.

وتشير كل هذه النقاط إلى أن تأثير الردع الناتج عن جهود الصين في مكافحة الفساد قد بدأ يتجلى، وأن الآليات الرامية إلى منع الفساد ورفضه آخذة في التبلور، وأن المعركة ضد الفساد تكتسب زخما لا يمكن إيقافه.

المضي قدما في الإصلاح

تعد قرية شياوقانغ في مقاطعة آنهوي شرقي الصين مهد "نظام المسؤولية التعاقدية الأسرية" ونقطة انطلاق الإصلاح في الصين.

وفي ٢٥ أبريل ٢٠١٦، انحنى شي في فناء منزل ريفي قديم في القرية لفحص العقد الذي مثل بداية هذا التحول التاريخي، مستعيدا ما وُصف بأنه "رعد إصلاحي في الصين".

وكانت هذه الزيارة أول جولة تفقدية محلية له بعد إطلاق الخطة الخمسية الثالثة عشرة (٢٠١٦-٢٠٢٠). أما أول جولة تفقدية له بصفته الأمين العام للجنة الحزب المركزية فكانت إلى شنتشن التي تقف في طليعة الإصلاح والانفتاح بالصين.

ومن هذين الموقعين الرمزيين، أدلى بتصريحات أساسية بشأن الإصلاح في الصين، شكلت خيارا حاسما للبلاد في ظل ضغوط اقتصادية داخلية متداخلة واقتصاد عالمي متباطئ.

ووسط الشكوك حول اتجاه الإصلاح في الصين، أوضح شي أن نطاق وعمق الإصلاح في الصين قد توسعا بشكل ملحوظ مقارنة بالماضي، وبينما اكتملت الإصلاحات السهلة والمقبولة

على نطاق واسع، فإن تلك التي بقيت هي الأصعب. ووصفته مجلة «تايم» بأنه الشخصية المركزية في الموجة الجديدة للإصلاح في الصين، وعمل شي كرنان يوجه هذا التحول مع اهتمام دقيق بالتفاصيل.

وعلى مدى السنوات الأربع الماضية، تمكنت الصين من تجاوز المخاطر والتحديات، وحطمت الحواجز، وابتكرت على طول الطريق. وبإجراءات سريعة وحاسمة، بدأ إطار الإصلاح الشامل في التشكل.

في الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية الثامنة عشر للحزب الشيوعي الصيني، أكد شي أن الإصلاح لا يجب اقتصره على مجال واحد أو عدد محدود من المجالات - بل يجب دفعه في جميع القطاعات.

وتقدمت هذه الجولة من الإصلاح بوتيرة غير مسبوقة. ففي غضون ثلاث سنوات فقط، عقدت المجموعة القيادية المركزية لتعميق الإصلاح بشكل شامل ٣١ اجتماعا وأقرت ٢٧٤ وثيقة متعلقة بالسياسات.

وجرى تنفيذ إصلاحات هيكلية كبرى، تتراوح من الأنظمة الاقتصادية والسياسية إلى المجالات الثقافية والاجتماعية والحوكمة البيئية وبناء الحزب. وحققت إنجازات رئيسية في المؤسسات المملوكة للدولة، والإصلاح القضائي، والأنظمة المالية والضريبية، ما أسهم في تشكيل خريطة طريق أكثر وضوحا للإصلاح الشامل.

وقال شي لمسؤولين محليين في أوائل عام ٢٠١٥ إنه "يجب علينا التحلي بالشجاعة لمواجهة التحديات مباشرة والسعي بنشاط إلى إيجاد الحلول".

وأشارت الصحيفة الإسبانية «إل موندو» إلى أن تنفيذ الإصلاح في الصين لن يكون سهلا، إذ أن كل إجراء إصلاحي سيواجه مقاومة من أصحاب المصالح الراسخة.

وعند أخذ تسيط الإدارة الحكومية كمثل، فقد اعتُبر هذا الجهد في البداية "ثورة ذاتية" حيث كانت العوائق البيروقراطية شائعة، ليس لأنها كانت مستعصية الإزالة، بل لأنها كانت مريحة.

وقد جرى التصدي مباشرة لقضايا كانت تعد سابقا خارج نطاق المساس بها، بدءا من إصلاحات الرواتب بين المؤسسات المدارة مركزيا إلى الإصلاحات المعنية بنظام الأراضي الريفية وآليات التسعير. كما شهدت إعادة هيكلة الجيش خطوات جريئة، تمثلت في القضاء على الفساد

الداخلي ودفع الإصلاحات الهيكلية في دفاع الصين وقواتها المسلحة.

إن الإصلاح الشامل هو مشروع ضخم لا يمكن معالجته من خلال إصلاحات مجزأة. فمن صياغة السياسات إلى البرامج التجريبية، يجب أن يكون التنفيذ إستراتيجيا وعمليا في آن واحد. وقد جرى دفع الإصلاحات في القطاع القضائي، وبين المؤسسات المملوكة للدولة وفي نظام الرقابة في البلاد، من خلال مزيج من التخطيط من أعلى إلى أسفل والتجارب على مستوى القواعد الشعبية. وتقدمت هذه الإصلاحات في إطار سيادة القانون، فيما تم تعزيز الأطر القانونية في هذه العملية.

وقاد شي شخصيا جهود الإصلاح الرئيسية، حيث ترأس عدة مجموعات قيادية، بما في ذلك تلك المعنية بالأمن السيبراني والشؤون الاقتصادية وإعادة هيكلة الجيش.

وأشارت صحيفة «ليانغخه تساوباو» السنغافورية إلى أن مشاركة شي المباشرة في قيادة الإصلاح قد تجاوزت التوقعات، مما يُظهر عزيمة راسخة على أعلى المستويات.

وعلى مدى أربع سنوات، تكيفت الصين مع "الوضع الطبيعي الجديد" للاقتصاد، ودفعت قدما بأجندتها للإصلاح الهيكلي لجانب العرض. ومع تحقيق تقدم ملحوظ في خفض فائض القدرة الإنتاجية وتقليل المخزونات وخفض الرافعة المالية وخفض التكاليف وتقوية مواطن الضعف، حافظ الاقتصاد الصيني على زخم مطرد رغم حالة عدم اليقين العالمية.

ويتمحور الإصلاح حول الشعب، فمنذ سنواته الأولى في الريف إلى قيادته للإصلاحات الوطنية اليوم، بقي شي ملتزما بتحسين سبل معيشة الشعب.

وخفضت إصلاحات تسجيل الشركات الحواجز أمام رواد الأعمال. وحفزت السياسات، التي تعزز توزيع الدخل القائم على المعرفة، الابتكار. وعالجت سياسة الطفلين في البلاد التحديات الديموغرافية. وخطوة بخطوة، توسعت الإصلاحات من معالجة الاحتياجات الأساسية إلى السعي لتحقيق تنمية أوسع، لينتقل التركيز من الرفاه المادي إلى الحقوق والفرص. وهكذا، تتشكل تدريجيا الصين الأكثر ازدهارا بفضل الإصلاح.

قيادة الصين إلى مركز المسرح العالمي

قال شي إنه "يجب علينا التصرف وفق اتجاه التاريخ، وتعزيز نمط جديد من العلاقات

الدولية يقوم على التعاون المريح للجميع، وبناء مجتمع المستقبل المشترك للبشرية".
غير أن العالم ليس في سلام، وكما ذكر وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر ذات مرة، فإن النظام الدولي يشهد تغيرات لم يمر بها منذ ٤٠٠ عام.

وفي جميع أنحاء العالم، ينتقل مركز الثقل الاقتصادي والسياسي من شمال الأطلسي إلى المحيط الهادئ، كما أن صعود الأسواق الناشئة والدول النامية لا يمكن إيقافه. وتتشابك التعقيدات الجيوسياسية، ويظل التعافي الاقتصادي العالمي بطيئا، فيما تظهر النقاط الساخنة الإقليمية والتحديات العالمية تباعا.

وبالعودة إلى نهاية عام ٢٠١٢، وخلال مشاركته الدبلوماسية الأولى بعد انتخابه أمينا عاما للجنة الحزب المركزية، توصل شي إلى حكم مهم مفاده أن المجتمع الدولي أصبح بشكل متزايد مجتمعاً له مصير مشترك.

وقد أصبح هذا الحكم منذ ذلك الحين المبدأ التوجيهي الأساسي للمشاركة الشاملة للصين في الحوكمة العالمية.

ومن موسكو المغطاة بالثلوج إلى بالي الخضراء الوارفة ومنصة الأمم المتحدة التي تحظى باهتمام عالمي، شرح شي على مدى السنوات الأربع الماضية جوهر التضامن والمصير المشترك، ليقدم في الوقت نفسه حكمة الصين الفلسفية للعالم.

ومن خلال الدعوة لنظام حوكمة عالمية يقوم على مفهوم مجتمع المستقبل المشترك للبشرية، أظهر شي تفكيراً إستراتيجياً حول العلاقات طويلة الأجل للصين مع العالم وجلب زخماً جديداً لإنشاء نظام دولي جديد، وفقاً لروس تيريل، الباحث في مركز فيربانك للدراسات الصينية في جامعة هارفارد والمحرر الرئيسي لكتاب «نهضة الصين في عهد شي جين بينغ: المهمة التاريخية وإستراتيجية القوة العظمى».

وترأس شي عدة جلسات دراسة جماعية للمكتب السياسي للجنة الحزب المركزية. وركزت هذه الجلسات على علاقة الصين مع العالم، وشملت موضوعات مثل مسار التنمية السلمية ومناطق التجارة الحرة والحوكمة العالمية.

وصاغت الصين سلسلة من التصاميم العليا والإستراتيجيات الرائدة.

وطرحت مفاهيم وأفكاراً وإستراتيجيات دبلوماسية جديدة - من تبني مقاربة أخلاقية لتحقيق التوازن بين العدالة والمصالح الشخصية إلى تبني أسلوب دبلوماسية الجوار القائمة على

الود والإخلاص والمنفعة المتبادلة والشمول، ومن اقتراح أن يكون الإخلاص والنتائج الحقيقية والود وحسن النية سمات التعاون مع أفريقيا إلى تطوير نمط جديد من العلاقات الدولية يقوم على التعاون المريح للجميع، ومن بناء شبكة عالمية من الشراكات الأوثق إلى الدعوة إلى رؤية أمنية تسترشد بمفهوم مجتمع المستقبل المشترك للبشرية وتؤكد على الأمن المشترك والشامل والتعاوني والمستدام.

وباعتبارها الدولة المضيفة لقمّة مجموعة العشرين في هانغتشو، ترأست الصين القمّة لتحقيق سلسلة من النتائج الرائدة والتوجيهية والمؤسسية، مما ترك بصمة صينية عميقة في تاريخ مجموعة العشرين.

وأدى شي دورا مهما في عدد لا يحصى من الفعاليات على مدى السنوات الأربع الماضية، مقدما حكمة الصين وحلولها.

ومن سواحل المحيط الهادئ إلى آسيا الوسطى وأوروبا، ومن شمال شرقي آسيا وروسيا إلى جنوب شرقي آسيا وأفريقيا، اتبعت زيارات شي الأخيرة التخطيط العام الكبير لمبادرة الحزام والطريق.

وقال بيتر فرانكوبان، المؤرخ في جامعة أكسفورد، إنه عندما أعلن الرئيس شي عن مبادرة الحزام والطريق في عام ٢٠١٣، كان يعيد إحياء ذكرى الازدهار خلال زمن طريق الحرير القديم الذي عرفه الناس منذ زمن طويل.

وقال شي إن "انفتاح الصين لا يعني أداء عرض منفرد، بل هو ترحيب بجميع الأطراف للمشاركة معا. وإنه ليس عن بناء حديقة خاصة، بل إقامة متنزه مشترك لجميع الأمم".

ومن طرح مبادرة الحزام والطريق إلى تطبيق نهج القائمة السلبية في مناطق التجارة الحرة التجريبية، ومن إطلاق البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية إلى إنشاء صندوق طريق الحرير، أرسل شي جين بينغ رسالة واضحة عن العزيمة والثقة إلى العالم وسط تصاعد المشاعر المعارضة للعولمة، مؤكدا على السعي إلى مستوى أعلى من الانفتاح.

وفي أماكن مثل بكين وواشنطن وباريس وهانغتشو، التقى شي بالرئيس الأمريكي باراك أوباما لمناقشة تغير المناخ في مناسبات متعددة بين عامي ٢٠١٤ و٢٠١٦، ما دفع الصين والولايات المتحدة إلى إصدار ثلاثة بيانات مشتركة حول هذه القضية، كما قادت الصين عملية التصديق على اتفاق باريس في عام ٢٠١٦.

وأشاد الأمين العام للأمم المتحدة آنذاك بان كي مون بالإجراءات الفعالة التي اتخذتها الصين تحت قيادة شي المتميزة.

وسيتذكر العالم أن الصين تمسكت بالعدالة وناادت بالإنصاف ومدت يد العون خلال تفشي الإيبولا وأثناء حملات التخفيف من حدة الفقر في أقل دول العالم نمواً، وكذلك خلال الأزمات في أفغانستان وسوريا وأوكرانيا.

وعلى مدى السنوات الأربع الماضية، شملت زيارات شي الـ ٢٤ الخارجية ٥١ دولة في خمس قارات، كما عقد اجتماعات مع حوالي ٢٢٠ من رؤساء الدول وقادة الحكومات الأجنبية داخل الصين. وقد اتسعت دائرة أصدقاء الصين بشكل أكبر من أي وقت مضى.

وتوقف خطاب شي الأول على منصة الأمم المتحدة بسبب التصفيق ١٥ مرة خلال ٢٠ دقيقة. وعلى منصة تيانانمن ذكر خطابه في يوم النصر كلمة "السلام" ١٨ مرة إجمالاً. وفي جوهانسبرغ، أعلن عن عشر خطط للتعاون بين الصين وأفريقيا، مستشرفاً مستقبلاً مشرقاً لـ ٢,٤ مليار شخص.

وأظهر استطلاع حديث حول الصورة الإيجابية لقادة عشر دول كبرى أجرته كلية كينيدي للحكم بجامعة هارفارد أن المشاركين من ٣٠ دولة وضعوا شي في المرتبة الأولى.

قال شي "لن يتأثر الشعب الصيني بالمغالطات. ونحن لا نثير المتاعب، لكننا لا نخشاهم. ولا ينبغي لأي دولة توهم أن الصين ستساوم على مصالحها الوطنية الجوهرية أو تسمح بانتهاك سيادتها وأمتها ومصالحها التنموية".

وقد أعطى القادة الصينيون الأولوية للسيادة والأمن الوطنيين، وركزوا على الاستقرار الإقليمي، وتمسكوا بالتنمية السلمية كموضوع رئيسي عند التعامل مع شؤون مثل إنشاء منطقة تحديد الهوية للدفاع الجوي في بحر الصين الشرقي والتصدي الفعال لما يسمى التحكيم في بحر الصين الجنوبي.

المسيرة نحو النهضة العظيمة

قبل أيام من عيد الربيع عام ٢٠١٦، زار شي جينغقانغشان في مقاطعة جيانغشي للمرة الثالثة. وفي قرية شنشان، بلدة ماويينغ، خاطب السكان قائلاً إن "حزبنا مكرس بكل إخلاص

لخدمة الشعب. وعلى طريق التخفيف من حدة الفقر، لن يتم ترك أي أسرة فقيرة خلف الركب، ولن يتم إهمال أي فرد يعاني من ضيق الحال".

وفي تلك اللحظة بالذات، كانت فترة الخطة الخمسية الثالثة عشرة للبلاد قد بدأت. ولم يبق للبلاد سوى أربع سنوات لتحقيق الهدف المئوي الأول المتمثل في بناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل، وما يزيد قليلا عن ثلاثة عقود لتحقيق الهدف المئوي الثاني المتمثل في بناء نفسها كدولة اشتراكية حديثة عظيمة على نحو شامل.

وقال شي ذات مرة، وهو يشارك خلفية قناعاته الوطنية، "عندما كنت طفلا، أعطتني أمي سلسلة من كتب القصص المصورة - أسطورة يويه في. وفي أحد مجلداتها، التي يزيد عددها على عشرة، تظهر صورة لوالدة يويه في وهي توشم على ظهره أربعة مقاطع صينية تعني 'أخدم البلاد بأقصى درجات الولاء'. لقد أثارت القصة إعجابي بشدة".

وخلال زيارته لمعرض «طريق النهضة» في المتحف الوطني بعد المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، أعلن شي، الذي كان قد انتخب للتو أميناً عاماً للجنة الحزب المركزية، عزم الصين الراسخ على تحقيق تطلعاتها من خلال إطلاق حملة كبرى لتحقيق حلم الصين.

انخفض عدد السكان الفقراء في الصين من ٧٧٠ مليون نسمة في بداية الإصلاح إلى ٥٥,٧٥ مليون بحلول نهاية عام ٢٠١٥. وتم انتشال عشرة ملايين آخرين من براثن الفقر في عام ٢٠١٦. وساعدت الصين أكثر من ٧٠٠ مليون شخص على الخروج من الفقر خلال ما يزيد قليلا عن ثلاثة عقود، محققة هدف الألفية الإنمائي للأمم المتحدة المتعلق بالحد من الفقر قبل الموعد المحدد. واستمر الثقل الاقتصادي للصين على الساحة العالمية في الازدياد. فقد ارتفعت حصة الناتج الاقتصادي للصين في الاقتصاد العالمي من ١,٨ في المائة عند بداية الإصلاح والانفتاح إلى ١٤,٨ في المائة في عام ٢٠١٥.

وأخذ الفكر التنموي الجديد يترسخ، وبدأت الحيوية المدفوعة بالابتكار في الظهور، كما بدأت مبادرات مثل "صين جميلة" و"صين صحية" تعود بالنفع على الشعب، وتحولت الإستراتيجيات الوطنية الكبرى من خطط إلى واقع، وقد عززت فلسفة الحوكمة للجنة الحزب المركزية، ونواتها الرفيق شي جين بينغ، أسس الصين وضمنت استمرار تقدمها التنموي.

وتقف الصين عند لحظة حاسمة لتحقيق حلمها العظيم، حيث تواجه تحديات مثل القضاء على الفقر المدقع، وخفض فائض القدرة الإنتاجية، ومكافحة تلوث الهواء، ودفع الإصلاحات في

مجالات رئيسية مثل أنظمتها المالية والضريبية والتمويلية. وعلى امتداد تاريخ البشرية، لم ينجح أي بلد بحجم الصين من قبل في تجاوز فح الدخل المتوسط.

وقال شي في خطاب ألقاه خلال حفل إحياء الذكرى الثمانين لانتصار المسيرة الكبرى للجيش الأحمر "لتحقيق انتصارات جديدة في نضال يتسم بالعديد من السمات التاريخية الجديدة، ما تزال هناك العديد من القمم المغطاة بالثلوج التي يجب علينا تسلقها، والعديد من المروج التي يجب عبورها، وكذلك العديد من ممرات لوشان وممرات لاتسيكو التي يجب فتحها".

ومن الدورة الكاملة الثالثة إلى الدورة الكاملة السادسة للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني، تم رسم إستراتيجية الشوامل الأربعة تدريجياً، موجة البلاد لتصبح مجتمعاً رغيد الحياة على نحو شامل.

وقال ديفيد ليبتون، النائب الأول للمدير العام لصندوق النقد الدولي، إنه "منذ تولي الرئيس شي منصبه، قاد اقتصاد الصين نحو تحول عظيم لتحقيق تنمية أكثر توازناً ودفع بحزم إصلاحات في العديد من المجالات الرئيسية من أجل التكيف بشكل أفضل مع تعديل الاقتصاد العالمي".

وخلال حضوره منتدى بواو، قال رئيس الوزراء الفرنسي الأسبق جان بيير رافاران لوسائل الإعلام إنه قرأ بعناية كل جملة في النسخة الفرنسية من كتاب «شي جين بينغ: حول الحكم والإدارة»، وإنه شارك ملاحظاته وتبادل الآراء حول الابتكار مع شي عندما التقيا.

ويحلول نوفمبر ٢٠١٦، كان كتاب «شي جين بينغ: حول الحكم والإدارة» قد نُشر بـ١٢ لغة، مع توزيع أكثر من ٥٠٠ ألف نسخة في أكثر من ١٠٠ دولة ومنطقة.

وقد تغذت الأمة الصينية بالتراث الثقافي المتراكم من النضالات الطويلة، لتصبح قوة صلبة تعزز ثقة البلاد في تحقيق حلمها العظيم.

وقال شي "إننا نسير في طريقنا الخاص، ولدينا مسرح واسع لا مثيل له، وأسس تاريخية عميقة للغاية، وعزيمة قوية بشكل لا يصدق للمضي قدماً".

وأشار شي في يوليو ٢٠١٦ في نينغشيا، الموقع الذي توحدت فيه قوات الجيش الأحمر المختلفة أخيراً وأنهت مسيرتها التاريخية، إلى أن "المسيرة الكبرى الجديدة لدفع الاشتراكية ذات الخصائص الصينية إلى الأمام يجب أن تكون تتابعا مستمرا، وعلى كل جيل أن يمضي مسيرته الكبرى الخاصة به على خير وجه".

وتشهد سجلات العمل وخرائط السفر على خطوات قادة الحزب الشيوعي الصيني الكبار.

فقد جاب شي وقادة آخرون أنحاء البلاد.

وقال شي إن "الاشتراكية تُبنى بالعمل الجاد".

وفي هذه المرحلة الحاسمة، برز شي بطبيعة الحال بوصفه نواة لجنة الحزب المركزية وللحزب بأكمله من خلال جهوده في توجيه ودفع النضال العظيم والمشروع العظيم والقضية العظيمة للبلاد. وكان ذلك مرة أخرى خيارا حاسما وجليلا اتخذه الحزب والشعب.

لقد كان حلم الصين لقرن من الزمان بعيد المنال ذات يوم. لكن نهضتها الوطنية أصبحت الآن في المتناول.

وفي ٩ نوفمبر ٢٠١٦، أجرى رائدا الفضاء الصينيان جينغ هاي بنغ وتشن دونغ اتصالا من الفضاء إلى الأرض مع شي من ارتفاع يقارب ٣٨٠ كيلومترا فوق الأرض، حثما شي خلاله على "تعزيز وحدتهما والتغلب على التحديات معا"، مشجعا إياهما على المثابرة وإنجاز مهامهما اللاحقة بنجاح.

وبعد تسعة أيام، عاد رائدا الفضاء، اللذان عملا على متن محطة الفضاء لمدة ٣٣ يوما، بنجاح إلى الأرض، مما يمثل علامة فارقة في برنامج الصين المأهول للفضاء.

وتدفع الصين اليوم بالإصلاحات الأكثر أهمية في الحوكمة، فيما تتكشف خطة إصلاح كبرى بزخم عظيم في مرحلة حاسمة من مسيرة تحقيق حلم الصين.

وكتب ماو تسي تونغ ذات مرة عن هذا الحلم قائلا "إنه كالسفينية، التي تُرى من الشاطئ، مع ظهور صاريها في الأفق. إنه كالشمس المشرقة، التي تُرى من قمة الجبل، وهي تشع ضوءا ساطعا أثناء تبديدها عتمة الفجر".